مجلة الوطن العربي
العدد ١٧٦ حزيران ١٩٨٠
ص ١

ضياء العزاوي في ٣٩ زيتية ومائية :

هكذا اتعامل مع التراث

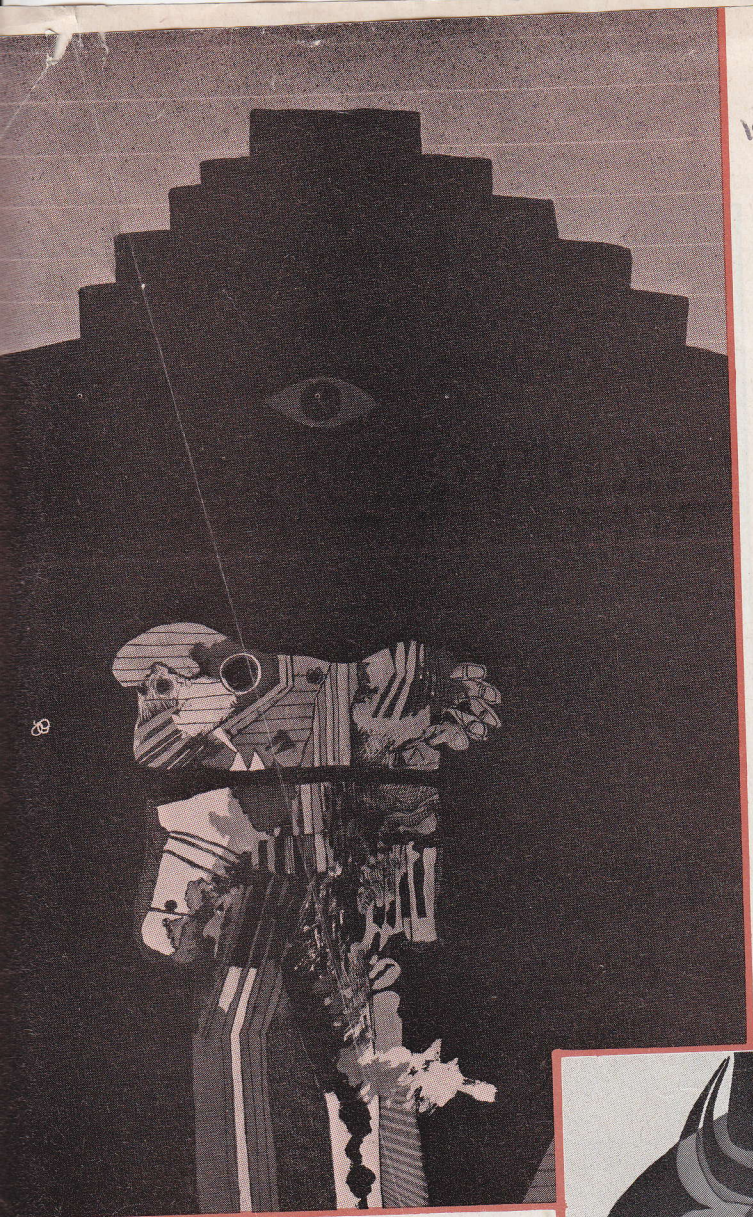

برج بابل

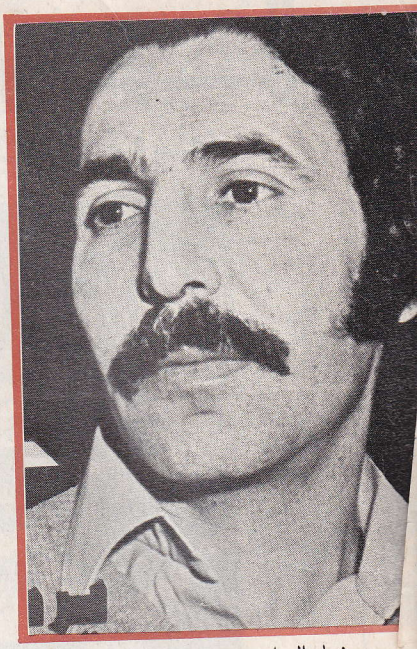

ضياء العزاوي :
الحرف يمنح الخطوط قيمة ابداعية

الفنان ضياء العزاوي يعرض في « غاليري فارس » بباريس ٣٩ لوحة زيتية ومائية ...
عند جديده نتوقف لنراجع معه اسلوب تعامله مع التراث .

يقام حالياً في باريس معرض الفنان ضياء العزاوي (غاليري فارس) ، ويتضمن ٣٩ لوحة زيتية ومائية . والفنان العزاوي غني عن التعريف ، فقد أقام حتى الآن ١٣ معرضاً أولها في العام ١٩٦٥ في قاعة الواسطي ببغداد ، وآخر معرض قدمه في العراق سنة ١٩٧٩ في قاعة الرواق . اضافة الى المعارض المشتركة في بيروت ، وروما ، وفيينا ، ومدريد ، ودمشق والقاهرة وبلدان أخرى . والعزاوي في لوحاته باحث عن لغة حضارية وجمالية عبر الاتجاه التجريبي ، وهو لا يؤسس هذا الاتجاه في الفراغ وانما يتجه الى تراثنا الغني . ان رحلة الفنان تبدأ من ألف ليلة وليلة واساطير وادي الرافدين واسطورة جلجامش والتراث العربي القديم ، بدءاً بالمعلقات وانتهاء بالزخارف الإسلامية .

في المعرض ، الذي يقيمه الفنان حالياً في باريس ، يقدم لنا تطويراً لأعماله ، وهو لا يعتمد في هذا التطوير على اختزال اللون واعطائه قيمة الموضوع ، وانما بأدخال الحرف العربي بما فيه طاقة تعبيرية ، كعامل فعال في تشكيل اللوحة ، فهو يمنح الخطوط قيمة ابداعية دائمة للاكتشاف . وفي هذا الحوار يسلط الفنان الضوء على استخدامه للحرف العربي ، والتراث ومشكلات الفن التشكيلي المعاصرة ، بدأنا حوارنا معه بهذا السؤال :

● الذهاب باتجاه الأبعد

- باعتبارك أحد فناني الجيل الذي أعقب الرواد . ما هي حلقة الوصل بينك وبينهم ؟

● حلقة الوصل هي بالتأكيد المحاولات التي يسعى اليها الفنانون الشباب لصياغة تجربة وطنية متميزة . وربما كان الاختلاف الذي يصل الآن قادراً على ايجاد صيغة أبعد من الجهود المحلية التي طرحت في بداية الخمسينيات بشكل خاص . وعلى سبيل المثال ، فان « جماعة بغداد للفن الحديث » التي طرحت مقولة المدرسة العراقية ، حققت معظم محاولاتها آنذاك على الفن العالمي ، المتنوع المصادر ، الا أنني أعتقد أن جيلنا اختط توجهات مغايرة . لقد أصبحت الآن التجربة عربية أو لنقل وطنية تخص هذه المنطقة بما تتمتع به من تاريخ وثقافات ... أي ان أكثر التجارب أخذت تنزع نحو هذا التوجه .

- هل يمكن اعتبار فنك مكملاً ، بشكل أو بآخر ، لما قدمه الرواد ؟

● تعبر جهودي عن محاولة للذهاب أبعد مما ذهب اليه الرواد . ومن الواضح ، ان الواقع الاجتماعي آنذاك كان يختلف عما عليه الآن . مثلاً ؛ تجد الآن في أوربا أكثر من ثلاثين فناناً عراقياً يعمل أو يدرس . قد لا يكونون كلهم فنانين جيدين . لكن ، تواجدهم في أوربا هو محاولة من الفنان العراقي للذهاب بعيداً . إنها محاولات لتأصيل أسلوب معين بالنسبة إلينا . أعتقد ان تجربتي او تجربة الاخرين استطاعت ان تتخطى الصياغات المحلية . وأصبحت أكثر الاعمال الفنية لهذا الجيل مقبولة في بلدان عربية متعددة مثل : لبنان ، والمغرب ، وتونس ، والكويت ...

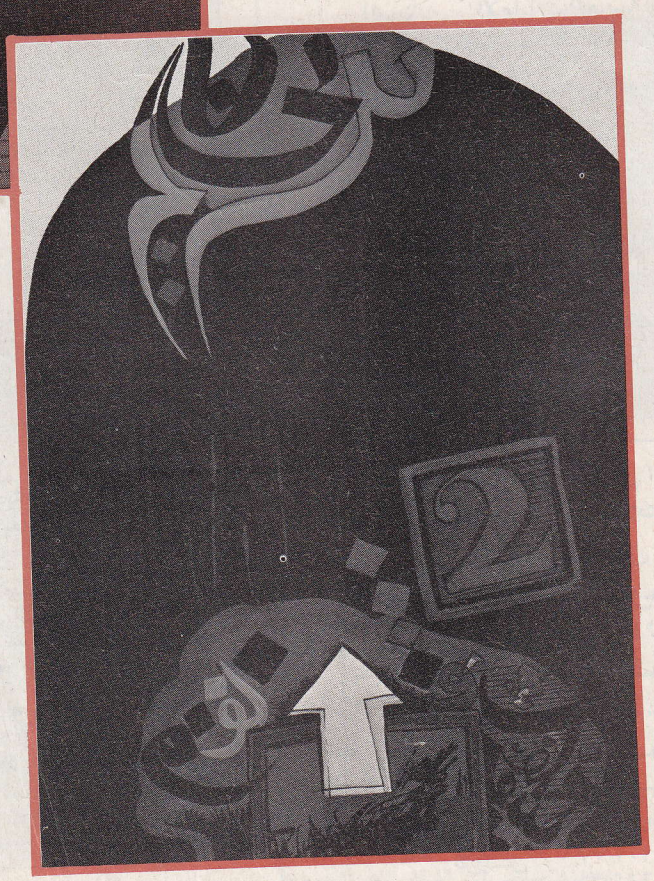

تفصيل لشكل اسلامي

العلامة : التجريب

- نلاحظ هيمنة الاتجاه التجريبي في لوحاتك ؟

● أعتقد ان العلامة الصحية للمحاولات العراقية هي في كونها تجريبية . معنى ذلك ، ان أي حديث عن أسلوب عراقي أو مدرسة عراقية ، فيه كثير من الادعاء . ولا يمكن النظر الى هذه المقولة عبر محليتها ، لكن عندما نجد أعمالاً فنية متميزة في الوطن العربي ، يمكن ان نصفها بانها عربية . المهم ان تتمكن هذه التجربة ، من ان تقف في أي مكان من العالم ؛ ويشير اليها النقد بأنها ذات صيغة عربية . فالاتجاه التجريبي عبارة عن عملية بحث مستمرة لايجاد الصيغة المطلوبة .

- بحثك ينصب على إيجاد لغة جمالية . ما هي هذه اللغة وما هي أبعادها ؟

● بطبيعة الحال ، ان البحث عن الشكل الجمالي هو إحدى المكونات الأساسية للعمل الفني . فمحاولة أعطاء العمل الفني صيغة الوثائق من الناحية الأدبية لا يمكن ان يقودنا الى نتيجة تجربة هي أصلاً بصرية . فالشكل الجمالي هو أساساً شكل بصري ، وثمة تعبير سائد في أكثر الكتابات النقدية هو « قراءة اللوحة » ...

- هل هو تعبير خاطىء ؟

● أجل . ان قراءة اللوحة هو استخدام خاطىء لمشاهد العمل الفني لأن القراءة هي فعل أدبي . أما المشاهدة فهي الثقافة البصرية التي يمتلكها الإنسان . وكل عمل فني

يتحمل بالتأكيد أشياء داخلية قابلة للتفسير حسب الرؤية لكن الشكل البصري أو الجمالي هو بداية لدخول اللوحة .

اشكال الواقع

- ينظر بعض النقاد الى أعمالك على أنها أشكال جمالية ليس الا . ما هو رأيك ؟

● يتحدث كثير من النقاد عن الشكل الزخرفي في الفن العراقي إلا انهم يتناسون بأن أكثر التجارب الحديثة كالتجريدية لأشهر الفنانين العالميين اساسها زخرفي بالمعنى التقني . فالمقولات النقدية كثيراً ما أصبحت مقولبة وجاهزة . وهي صياغات غير معروفة بدقة لدى الكثيرين ، أصبحت هذه المقولة وكأنها إساءة ، بالنسبة إليّ ، ولكنني لا أشعر بأية غضاضة بأن يكون عملي جمالياً . فطالما أتمكن من خلق أشكال جمالية متميزة ، تمتلك مفرداتها وقابليتها للعودة بيّ الى تراث وطني أنتمي اليه ؛ فذلك بالنسبة إليّ شيء من النجاح . وبالتالي ، فالقيمة الجمالية لهذه الأشكال تكمن في محاولة خلق أشكال تنتمي الى واقعنا .

- كيف تنظر الى ثقافتنا البصرية ؟

● الثقافة البصرية تكاد تكون معدومة لدينا . ولو أننا دخلنا الى أي مطار في العالم ، لوجدنا من الاشارات والأشكال البصرية ما يحل محل الكلمة المكتوبة بحيث أعتاد الفرد الأوربي عليها . والأمر نفسه بالنسبة إلى الملصق الذي أصبح أكثر اختزالاً حيث يؤكد على أشكال جمالية هي كالمفتاح للدخول الى مفاهيم أخرى . هذا غير موجود لدينا أيضاً ، فالبحث الجمالي بالنسبة إلينا هو إضافة .

- والتجريد كيف يتجسد في أعمالك ؟

● أعتقد ان التجريد يمكن مقارنته بالشكل الاكاديمي . فالقواعد التي تحكم العمل الفني الأكاديمي معروفة ، لعل واحدة منها هي الغموض . عندما أرسم شكلاً أو انساناً ، يبقى دائماً على شكل مسطح . ليس عندي العلاقة الموجودة في الفن الاكاديمي مثل السريالية التي تتضمن منظور التلاشي . التجريد كما أفهمه هو محاولة ايجاد نوع من التميز لما حققته سابقاً .

اللون - الموضوع

- في لوحاتك ، تمنح اللون قيمة الموضوع أي ان اللون يتميز بمناخ احتفالي ، اذ يستهويك سحر اللون وترفه !

● أعتقد ان اللون مثل الخط قيمة أساسية في اللوحة حيث لا يمكن فصل اللون عن اللوحة بأي شكل من الأشكال . أحياناً نشاهد بعض الأعمال ذات اللون الواحد ، الأبيض مثلاً ... هذا نوع من المحاولات لايجاد صيغة جمالية من خلال اللون الواحد . أنني أهتم

ليلة زرقاء

كثيراً باللون لانه أحد العناصر الاساسية في لوحاتي . لكنني لا أميل الى تعبير الترف في اللون . فاللون ، باستخداماته الفنية ، يعطي المشاهد نوعاً من المقارنات . اضافة الى ذلك ، فهو يتضمن جانباً نفسياً . فالمشاهد الأوربي مثلاً ، غير معتاد على الألوان الحادة لأن هذه الوحدة اللونية مغايرة له ، كاللون الأحمر ومشتقاته . بالنسبة إليّ ، هناك نوع من الصياغة لهذه الوحدات اللونية التي تميز العمل عن الأشكال الأخرى . اللون مثل الخط . وفي حين يستخدم التخطيط الخط فقط ، نجد أن اللوحة هي عبارة عن لون وخط .

- ما هي استفادتك من الأساطير ، وعلى وجه الخصوص الف ليلة وليلة ، اسطورة جلجامش واساطير وادي الرافدين وكذلك التراث العربي القديم ؟

● في الواقع ، بدأت محاولة الاعتماد على التراث مع محاولاتي للاستفادة من الاشكال التاريخية مثل الفن السومري ، خصوصا أنني في الأساس دارس آثار . فبفضل ذلك ، انا اعرف ما هو موجود في هذا التاريخ . ان جواد سليم استخدم الأساطير بحكم علاقته ببعض الشعراء مثل بدر شاكر السياب وآخرين . بالنسبة إليّ ، مادة التراث متوفرة عندي كخلفية ثقافية ودراسية . اولى محاولاتي كانت جلجامش حيث جسدتها في العديد من اللوحات . هذه المحاولات جعلتني انظر الى الاساطير بمفهوم ينتمي الى الشكل الذي اشاهده في الفن السومري .

لم اكن متوجهاً الى الفن الاسلامي وانما للفن السومري . جلجامش قادتني الى الف ليلة وليلة حيث استوحيت منها ٤٥ عملاً . وهي عبارة عن خلق اشكال تفسر هذه الاساطير والحكايات وليس خلق صياغة بصرية او جمالية . فهو عمل تحول الى حلقة وصل بين المشاهد وتاريخه . وكذلك محاولاتي مع المعلقات ... يلاحظ المشاهد التأكيد على عناصر معينة تتكرر في شتى المعلقات . فلو اردت ان انقل المعلقات الى لوحات لكانت كل معلقة تخرج بمعرض كامل لانها تحتوي على عناصر بصرية غزيرة . فالمسألة كانت بالنسبة اليّ هي التركيز على ايجاد علاقة بين الحرف مثلاً والاشكال البصرية الاخرى . ليست اللوحة مجرد حرف وانما جزء من المدخل الى ذاكرة بعيدة جداً .

- هل لديك محاولات أخرى للتعامل مع التراث ؟

● لدي محاولات لتقديم مختارات من التراث . وهي محاولات لايجاد الصياغات الايجابية التي يمكن ان تصبح مادة اساسية بالنسبة الينا . وهكذا اعمل لايجاد الرسم وليس الجانب الأدبي ، لأن تجربتي تعتمد على الجانب البصري في هذا التراث .

الشعر - اللوحة

- اختيارك للمعلقات . هل جاء مصادفة أم عن وعي مسبق ؟

● في الحقيقة كان الاختيار مصادفة . في خلال اقامتي في اوروبا في السنوات الاخيرة ، حاولت ايجاد نوع من الوحدات تبني علاقتي بالتاريخ ، وتكون في الوقت ذاته نوعاً من المسافة بينهي وبين التجربة الحديثة الاوروبية . كثيرون من الفنانين يقلدون الصياغات الاوروبية . اكتشفت المعلقات من خلال القراءات فخلقت عندي مناخا نفسيا خاصاً ، واذا حققت بهذا التوجه ٥ بالمائة من عمل متكامل فانني أكون سعيداً .

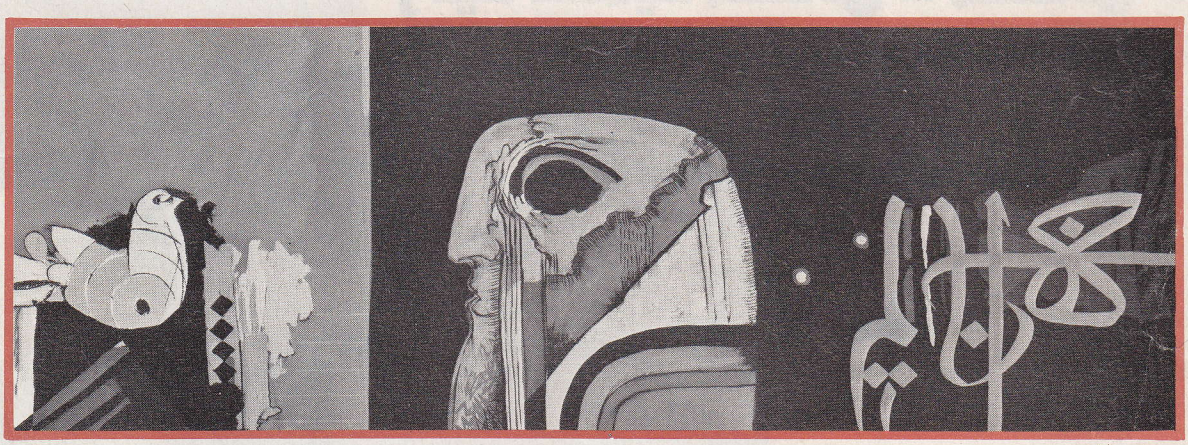

رجل وطائر

- لذلك نلاحظ امتزاج الشعر بلوحاتك ؟

● الشعر كوسيلة تعبير قادر على ان يحرض المخيلة ، وليس ضرورياً ان تكون الصياغة النهائية في الكلمات وانما هي مدخل لفهم آخر يخلقه عندك الشاعر .

- قبل قليل قلت انك لم تكن متوجها للفن الاسلامي الا انني الاحظ في لوحاتك تأثيرات الألوان المتفرقة ذات الطابع الزخرفي الاسلامي ؟

● لا يمكن ان نقول اللون أو الشكل وانما ينبغي ان ننظر للعمل الفني بشكل متكامل ، ثمة مفردات اسلامية ومفردات سومرية ، والأفضل ان يشاهد العمل من خلال ما يخلقه من مناخ فني او نفسي . الأشكال التي أخلقها تجعل الانسان العربي يشعر بانتمائه اليها . فالمشاهد هنا ينظر الى العمل بأطمئنان ، ويشعر بأن هذا العمل يشكل جزءاً منه . وفي الوقت نفسه تعتمد اللوحة على عناصر متعددة ، وجزء منها مأخوذ ربما من الحرف .

- ماذا عن تجربة استلهام الحرف في الفن التشكيلي العربي ؟ وما هي أبعاد هذه التجربة وقيمها الجمالية ؟

● تشير تجربة استلهام الحرف العربي في النتاجات الفنية العربية المعاصرة الى نوع من التمعن في عناصر ودلالات ذات نسيج